تنافس للسيطرة على دير الزور

نواة صلبة للجيش السوري بالمدينة للحيلولة دون التقسيم

عبد الله علي

دبابة سورية في محيط دير الزور (عن الإنترنت – أرشيف)

حافظ الجيش السوري طيلة السنوات الماضية على نواة صلبة من قواته في قلب محافظة دير الزور مانعاً تنظيم «داعش» من الاستيلاء عليها بالكامل وتحسباً من بعض المخططات الخارجية الرامية إلى تقسيم سورية. وتشير المعطيات الحالية إلى أن دير الزور تقترب أكثر فأكثر من لحظة الصراع عليها بين عدد من القوى الإقليمية والدولية، وسط تعقيد شديد يشوب مصير المدينة في ظل التنافس الذي استعر حولها وأطلق موجة من التحشيد العسكري غير المسبوق في محيطها من مختلف الأطراف.

وتتجلى حالياً مدى الأهمية الرمزية والإستراتيجية لبقاء هذه النواة من قوات الجيش السوري في دير الزور رغم الظروف شديدة الصعوبة والتعقيد التي مرت بها. إذ لولا صمود هذه النواة لكان الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام المشروع الأميركي الرامي إلى ابتلاع المنطقة الشرقية بالكامل وفرض التقسيم كأمر واقع بين شق شرقي من البلاد وآخر غربي.

ويبدو أن المدينة المنسية التي طالما تجاهلتها وسائل الإعلام، وقد يكون بعض هذا التجاهل متعمداً ومخططاً له لعدم جذب الانتباه لما يحاك ضدها، ستعود بقوة إلى دائرة الضوء مع تزايد التصريحات المتعلقة بها والتي تؤكد أن المدينة ستكون بؤرة ساخنة يحتدم فيها التنافس الإقليمي والدولي.

وقد تعزز هذا الانطباع بعد تصريح وزير الخارجية السوري وليد المعلم، الإثنين، حول التوجه إلى دير الزور وأن له الأولوية على التوجه إلى إدلب. وأكد المعلم بذلك تصريحات روسية تحدثت عن تفرغ الجيش السوري بعد اتفاق «خفض التوتر» لمعركتي تدمر وفك الحصار عن دير الزور. وترافقت هذه التصريحات مع تهديد مبطن موجه إلى الأردن تحديداً مفاده أن أي مغامرة يخطط الأردن للقيام بها بالاشتراك مع قوى أخرى داخل الأراضي السورية لن تكون نزهة عابرة.

وتوافرت لدى دمشق في الآونة الأخيرة معطيات عن وجود مخطط بقيادة أميركية وبريطانية وبمشاركة واسعة من الأردن ضد المنطقة الجنوبية من سورية. وتحدث الرئيس بشار الأسد صراحة عن هذا المخطط في المقابلة التي أجرتها معه وكالة سبوتنيك الشهر الماضي. وأشار الرئيس تحديداً إلى «الجزء الشمالي من الأردن» كمنطلق لتنفيذ هذه المخطط. وهذه الإشارة تعني أن المعلومات السورية تؤكد أن الهدف هو دير الزور وليس درعا أو القنيطرة كما ذهبت بعض التحليلات والتقارير سابقاً.

كما أن جملة من التصرفات المشبوهة التي قامت بها الولايات المتحدة في الأسابيع الماضية، زادت من حدة المخاوف حول دير الزور والمصير الذي ينتظرها وتأثيره المحتمل على مصير سورية ووحدتها. وأهم هذه التصرفات هي الحشود العسكرية على الحدود الأردنية والمشكلة من قوات أميركية وبريطانية وأردنية إلى جانب آلاف المسلحين الذين تلقوا تدريباتهم العسكرية في المعسكرات الأردنية وينتمون إلى فصائل مدعومة من غرفة عمليات الموك. وكذلك تكثيف طائرات التحالف الدولي لغاراتها الجوية على المناطق الشرقية من دير الزور، القريبة من مدينة البوكمال التي يفترض أن تكون الهدف الأولي لأي هجوم عسكري ينطلق من معبر التنف الواقع على مثلث الحدود السورية الأردنية العراقية. كما نفذت القوات الأميركية مؤخراً عدداً من الإنزالات الجوية في محيط مدينتي البوكمال والميادين تهدف على الأغلب إلى جس نبض تنظيم «داعش» واستكشاف مدى قوة تحصيناته الدفاعية لأخذها بالاعتبار عند وضع الخطط النهائية للهجوم على المدينة.

وبذلك تكون البوكمال ثاني مدينة تقع جنوب نهر الفرات تسعى الولايات المتحدة عبر أحد حلفائها للسيطرة عليها، بعد مدينة الطبقة غرب الرقة التي تعمل قوات «سورية الديمقراطية» على استكمال السيطرة عليها.

ومن الواضح أن واشنطن أولت مهمة السيطرة على البوكمال وغيرها من مناطق دير الزور الواقعة جنوب نهر الفرات، إلى بعض الفصائل المسلحة المدعومة منها مثل «أسود الشرقية» و«جيش العشائر» و«قوات أحمد العبدو» وربما «جيش النخبة» التابع لتيار «الغد» بقيادة أحمد الجربا. وقد تمكنت هذه الفصائل في الشهرين الماضيين من السيطرة على مساحات شاسعة من الشريط الحدودي بين سورية والأردن، ومن تعزيز قوتها في محيط قاعدة التنف التي أقامتها بريطانيا وتشهد حالياً تحركات متسارعة لتأهيلها بما يناسب قيامها بدور غرفة العمليات لقيادة المعارك باتجاه دير الزور.

وكانت آخر نقطة تقدمت إليها هذه الفصائل هي قرية حميمة التي جعلتها عملياً تدخل الحدود الإدارية لمحافظة دير الزور، إلا أن تنظيم «داعش» تمكن خلال هجوم معاكس من استعادة السيطرة على القرية وإبعاد الفصائل عن حدود المحافظة. أما أجزاء دير الزور الواقعة شمال نهر الفرات، فيبدو أن الخطة الأميركية لم تتبلور بشأنها بعد أو أنها تخطط لإيلاء مهمة السيطرة عليها إلى قوات «قسد» أيضاً. وفي هذا السياق لوحظ أن «قسد» تقدمت في بعض قرى ريف دير الزور الشمالي الغربي في إطار حملتها على «داعش» في الرقة. كما أن جيهان أحمد المسؤولة في الجناح السياسي لهذه القوات صرحت لصحيفة بريطانية قبل أيام أنه سيكون لهم دور في تحرير دير الزور من «داعش».

وكذلك تعتبر دير الزور ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة لتنظيم «داعش»، وذلك لعدة أسباب: الأول لأنها ستكون آخر معاقله التي لا تشهد معارك حالية ضده، ما جعلها آمنة نسبياً بالنسبة له الأمر الذي دفعه إلى جعلها مركزاً لتجمع عدد كبير من قواته التي انسحبت من المدن التي خسرها سواء في سورية أو العراق، وكذلك مقراً لكبار قادته الذين هربوا من المعارك الجارية في الموصل والرقة، وسط أنباء عن احتمال وجود زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي في أرياف المدينة وتحديداً أريافها الجنوبية التي توصف بعض قراها أنها تشكل حاضنة للتنظيم وفكره. والثاني حرصه على استمرار سيطرته على آبار النفط لتأمين احتياجات قواته وضمان استمرار تشغيل آلياته العسكرية، إلى جانب الموارد المالية التي تأتيه جراء تهريب النفط والمتاجرة به.

أما السبب الثالث والأهم، فهو أن دير الزور بموقعها على الحدود السورية العراقية، لها أهمية رمزية وعسكرية للتنظيم تتمثل في أن فقدان السيطرة عليها يعني إلغاء مفاعيل عملية «كسر الحدود» التي قام بها وكانت قاعدة إعلانه عن «دولة الخلافة» في حزيران ٢٠١٤. كذلك الأمر فيما يتعلق عسكرياً بخطوط الإمداد بين الدولتين وما يتيحه هذا التواصل من هامش واسع للمناورة أمام التنظيم. لذلك من المتوقع أن يحرص «داعش» على تعزيز نفوذه في دير الزور وضمان الحفاظ على السيطرة فيها لأطول فترة ممكنة. وقد يدفعه ذلك إلى المبادرة وشن هجمات جديدة على مواقع سيطرة الجيش السوري. ولا شك في أن المخطط الأميركي ومصلحة «داعش» يشكلان تحدياً جدياً للجيش السوري أثناء توجهه إلى دير الزور وخاصة أن المسافات التي تفصله عن المدينة هي مسافات طويلة نسبياً. إذ عليه الانطلاق من محيط تدمر أو شرق حماة ليبلغ بلدة السخنة ومن ثم كباجب وكلاهما موقعان إستراتيجيان لتنظيم «داعش».

وما سيزيد من شدة التحدي أن واشنطن لن تدخر جهداً في محاولة عرقلة تقدم الجيش السوري لمنعه من إجهاض مخططها. ومما يذكر هنا أن الطائرات الأميركية سبق أن استهدفت قوات الجيش السوري في جبل ثردة ممهدة بذلك الطريق أمام «داعش» لتوسيع سيطرته والتمكن من الفصل بين مناطق سيطرة الجيش. كما يمكن توقع رد الفعل الأميركي من خلال ما شهدته معركة الرقة من مسعى أميركي واضح لمنع قوات الجيش السوري من التقدم نحو مدينة الطبقة للمشاركة في تحرير المدينة.

«وحدة الإعلام الحربي» حذرت من أي عدوان منطلقه الأردن

تصاعد حدة الصراع على جنوب سورية وشرقها.. وسلاح الجو يتحرك بكثافة

الوطن – وكالات

رصد تحركات عسكرية ضخمة على الحدود السورية – الأردنية (عن الإعلام الحربي)

تصاعدت حدة الصراع على جنوب سورية وشرقها، حيث تحرك واشنطن وحلفاؤها المجموعات المسلحة المتحالفة لعرقلة تقدم الحملة التي شنها الجيش العربي السوري وحلفاؤه لاستعادة السيطرة على البادية الشامية. وصدر تحذير قوي عن «وحدة الإعلام الحربي المركزي» للقوات العسكرية التي احتشدت على الجانب الأردني من الحدود المشتركة السورية الأردنية، وذلك في حين قرنت دمشق موقفها الدبلوماسي الذي عبر عنه نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية والمغتربين وليد المعلم برفض التدخل الأردني في سورية، بتحريك سلاحها الجوي، حيث كثفت الطائرات الحربية طلعاتها لمراقبة الحدود السورية الأردنية، وسط معلومات أشارت إلى أن الطيارين كانت لديهم أوامر بالتعامل مع أي تعد على السيادة السورية.

ورداً على الأنباء الواردة عن وصول تعزيزات بريطانية وأميركية وأردنية إلى منطقة الحدود مع سورية، التي ترافقت مع انطلاق مناورات «الأسد المتأهب» في شمال الأردن ووصول رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية جوزيف دانفورد إلى «إسرائيل»، نبهت طهران إلى أن أي تدخل عسكري ضد سورية «محكوم بالفشل». هذا المشهد المعقد زاده تعقيداً إعلان العراق عن إطلاق عملية خاصة لتحرير الصحراء الغربية في غرب محافظة الأنبار «وتأمين الحدود مع سورية»، مشيراً بشكل غامض إلى أن الجهة السورية من الحدود خاضعة لسيطرة مسلحي داعش.

وأول من أمس أبلغت مصادر قناة «الميادين» عن تجمّع حشود عسكرية أميركية وبريطانية وأردنية على الحدود الجنوبية لمحافظتي السويداء ودرعا من تل شهاب إلى معبر نصيب وإلى منطقة الرمثا وانتهاء في خربة عواد. وحددت المصادر نوعية الحشود، مشيرةً إلى أنها تشمل كتائب دبابات بريطانية ثقيلة من نوع «تشالنجر»، مع ٢٣٠٠ مسلح وعدد من الطائرات المروحية من طرازي «كوبرا» و«بلاك هوك»، ولفتت إلى وجود ٤٠٠٠ مسلح ممن دربوا في الأردن في منطقة التنف داخل الحدود السورية.

ولفتت المصادر، التي لم تحدد الميادين هويتها، إلى أنه تم تأمين قواعد نارية أردنية للقوات المنوي إدخالها إلى البادية الأردنية عبر حشد كتائب مدفعية ثقيلة وراجمات صواريخ أميركية طراز «هيرماس» على أن يجري تأمين الغطاء الجوي والإنزال من قبل مجموعة جوية أميركية بقاعدة الزرقا بمرافقة طائرات هولندية وبحرينية لتغطية المشاة.

وأصدر «خلية الإعلام الحربي»، بياناً أكدت فيه أن «سورية وجميع حلفائها يتابعون عن كثب ما تسعى إليه أميركا من تواجدها عند الحدود الأردنية السورية، وتراقب تحركاتها في تلك المنطقة، حيث تم رصد تحركات لقوات أميركية وبريطانية وأردنية باتجاه الأراضي السورية». ووصفت مناورات «الأسد المتأهب» بالمشبوهة، موضحة أن هدفها «التغطية على مشروع لاجتياح واحتلال أراض سورية، تحت عناوين محاربة داعش، الذي ليس لها أي تواجد فعلي عند تلك الحدود». وبينت أن حشود القوات الغربية والمسلحين يهدف إلى «تحقيق مشروع الحزام الأمني كالأحزمة الأمنية حول سورية والتي لا تعد كونها مشاريع احتلال». وحذر البيان من أن سورية وحلفاءها لا يقبلون بأي احتلال مهما كان نوعه أو عنوانه، وهدد الأميركيين وحلفاءهم بدفع «الثمن غالياً، متوعدهم بأن يكونوا «أهدافاً جراء استباحتهم الأرض السورية».

ونقلت وكالة «سبوتنيك» الروسية للأنباء عن مصدر في «خلية الإعلام الحربي»، تأكيده أن إقدام أي جندي من الحشود الواقفة على الحدود السورية على تخطي الحدود، سيكون بمثابة إعلان حرب على سورية. وأكد المصدر الذي تحفظ عن ذكر اسمه أن هكذا خطوة ستقابل «بما يستحق أي غاز أو محتل للأرض».

في طهران، أكد وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف أن أي تحرك عسكري في المنطقة من الخارج محكوم بالفشل في المستقبل كما أخفق في السابق، وذلك في معرض تعليقه على أنباء الحشود العسكرية على الجانب الأردني من الحدود السورية الأردنية. وعقد إعلان الحكومة العراقية عن إطلاق عملية لطرد داعش من غرب محافظة الأنبار المشهد، إذ أوجد الذريعة المناسبة للحشود الأردنية على الحدود مع سورية. وستقول عمان إن الحشود إجراء احتياطي هدفه التصدي لأي محاولة تبذلها فلول داعش الفارة من أمام الجيش العراقي. وبالفعل ذكرت مصادر مسلحة أن الجيش الأردني استقدم تعزيزات آليات عسكرية ووحدات من المشاة، إلى منطقة المثلث الواصل بين الحدود الأردنية والسورية والعراقية. ورد الجيش السوري بتكثيف طلعات طائرات سلاحه الجوي لمراقبة مناطق الحدود مع الأردن.

وحذر المعلم أول أمس من أي تحرك أردني عسكري داخل سورية من دون التنسيق مع دمشق، وكشف عن حقيقة الصراع القائم عندما أعلن أولوية «معركة البادية في معارك الميدان»، مؤكداً أن الهدف الأساسي الآن هو «التوجه للوصول إلى دير الزور».

وفي عمان، قال المتحدث باسم الحكومة الأردنية محمد المومني، في مقابلة أجراها مع التلفزيون الأردني ليلة الاثنين: «نحن نشارك في اجتماعات أستانا بصفة مراقب، والدول التي وقعت على مذكرة التفاهم حول مناطق وقف التصعيد معلنة ومعروفة وهي روسيا وتركيا وإيران، والأردن لم يوقع على هذه الاتفاقية».

وأضاف: «ما يعنينا في الأردن أن يكون هناك وقف للتصعيد ووقف لإطلاق النار بكافة أرجاء سورية وبالتحديد المناطق القريبة من حدودنا، ومصلحتنا الإستراتيجية العليا هي سورية آمنة ومستقرة وأن يعود الأمن والاستقرار إليها بوحدة التراب السوري».

وأكد أن الأردن سيقوم «بكافة الإجراءات والجهود الدبلوماسية وغيرها على صعيد الدفاع في العمق كما أشار جلالة الملك من أجل التأكد أن حدودنا محمية».

«منصة موسكو» و«العليا للمفاوضات» تسلمتا دعوة

الأمم المتحدة: «جنيف ٦» تنطلق الأسبوع المقبل

وكالات

أعلنت الأمم المتحدة أن الجولة القادمة من مباحثات جنيف السورية ستنطلق في ١٦ أيار الجاري، في حين أكدت كل من «منصة موسكو» و«الهيئة العليا للمفاوضات» المعارضتين أنهما استلمتا دعوة لحضور تلك المحادثات.

وأعلن مكتب المبعوث الأممي الخاص إلى سورية ستيفان دي ميستورا الإثنين في بيان نقله الموقع الإلكتروني لقناة «روسيا اليوم»، أن الأخير سيستأنف المحادثات السورية في جنيف يوم ١٦ من الشهر الجاري.

وأضاف البيان: إن دي ميستورا يأمل في أنه سيستطيع التركيز أكثر، خلال الجولة السادسة من المحادثات السورية، على العمل مع الوفود حول الأجندة المتفق عليها بناء على نتائج لقاء «جنيف-٤»، كما أنه يعول أيضاً على التطبيق الكامل للاتفاقات التي تم التوصل إليها في المحادثات التي جرت في«أستانا ٤».

وأول من أمس، قال نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجة والمغتربين وليد المعلم خلال مؤتمر صحفي بدمشق: إنه «لم يتم حتى الآن تحديد موعد الجولة القادمة من مباحثات جنيف، وأن الحكومة السورية ستشارك في هذه الجولة، معتبراً أن مسار جنيف «مازال يراوح لأننا لم نلمس بصدق وجود معارضة وطنية تفكر ببلدها سورية بدلاً من تلقيها تعليمات من مشغليها وحتى يحين ذلك فلا أعتقد بوجود إمكانية للتقدم». بموازاة ذلك قال عضو وفد «منصة موسكو» إلى محادثات جنيف، مهند دليقان: «لقد تسلمنا الدعوات، لم يتقرر بعد من سيترأس الوفد، خلال يومين سيتقرر من سيكون بعضوية الوفد ومن سيرأسه».

من جانبه قال المتحدث باسم «العليا للمفاوضات تفاوض» سالم المسلط، وفقاً لوكالة «سبوتنيك» للأنباء: إن «الهيئة ستجتمع في ١٢-١٣ أيار في الرياض من أجل الاتفاق على تشكيل الوفد»، مرجحاً أن يبقى الوفد من دون تغير، لكن شكله النهائي سيتقرر في اجتماع الرياض، على أن يصل الوفد إلى جنيف في ١٥ أيار الحالي. يذكر أن الجولة الخامسة من المحادثات السورية انطلقت في جنيف، في ٢٣ آذار الماضي واختتمت في الـ٣١ منه، دون أن تسفر عن تقدم يذكر في المحادثات.

تيلرسون ولافروف في واشنطن.. أسباب عديدة للتفاهم على قوننة قواعد اللعبة

أنس وهيب الكردي

لافروف مستقبلاً نظيره تيلرسون في موسكو (رويترز – أرشيف)

يختبر رئيسا الدبلوماسية الروسية والأميركية اليوم قدرتهما على وضع علاقات بلديهما على سكة المصالحة. وهما يجتمعان إنفاذاً لاتفاق الزعيمين الروسي فلاديمير بوتين والأميركي دونالد ترامب الذي وصلا إليه مؤخراً.

ووجه بوتين وترامب وزيري خارجيتهما لإجراء اتصالات بشأن الملف السوري، وذلك خلال اتصال هاتفي جرى بين الزعيمين عرض فيه الرئيس الروسي على نظيره الأميركي فكرة مناطق تخفيف التوتر.

ولا تخفي موسكو رغبتها في تحسين العلاقات مع واشنطن، وهي تعطي لإطلاق لحوار الأميركي الروسي، في هذه المرحلة أولوية قصوى. ولإعطاء ثقل لمحادثاتهما قرر ريكس تيلرسون وسيرغي لافروف نقلها من على هامش الاجتماع الوزاري لمجلس القطب الشمالي في ولاية ألاسكا الأميركية، إلى واشنطن العاصمة. لكن النوايا والرغبات لا تخفي التوترات بين الدولتين، وفي بعض الأماكن تنافر مصالحهما. وسيناقش الوزيران الوضع في سورية وأوكرانيا والعلاقات الروسية الأميركية.

في الشأن السوري، وعلى حين يأتي وزير الخارجية الروسي إلى واشنطن، مسلحاً بمذكرة أستانا لإقامة ٤ «مناطق تخفيف تصعيد» في سورية، لا تزال الإدارة الأميركية متشككة في أن الاتفاق موجه ضدها، خصوصاً أن المسؤولين الروس أوضحوا أن تلك المناطق باتت مغلقة أمام طيران التحالف الدولي ضد تنظيم داعش، الذي تقوده الولايات المتحدة. كما رفضت واشنطن علناً أي دور لإيران في تنفيذ الاتفاق.

ويأمل الروس أن يتمكن لافروف من إقناع تيلرسون بتمرير مشروع قرارهم في مجلس الأمن الدولي الخاص باتفاق أستانا. ولم يخف المسؤولون الأميركيون أنهم لن يقبلوا المذكرة بسهولة، هذا إذا قبلوها أصلاً.

من جهة أخرى، يلتقي تيلرسون لافروف، في حين يتصاعد التوتر في جنوب سورية، حيث الصراع بين موسكو وحلفائها من جهة وواشنطن وحلفائها من جهة اخرى، على السيطرة على دير الزور وبادية الشام، ما زال في طوره الأولي. ومن نافل القول أن هذا الصراع، إستراتيجي، ومن شأنه أن يحدد هوية القوة الكبرى المتحكمة بالهلال الخصيب (ومعابره الإستراتيجية). والروس أصيبوا بخيبة أمل من العدوان الأميركي على قاعدة الشعيرات الجوية في محافظة حمص. ومنذ ذلك الحين، بات المسؤولون الروس أكثر تشككاً في نيات الإدارة الأميركية الحالية تجاه الأزمة السورية.

ولقد مكن الاتفاق على مذكرة «مناطق تخفيف التصعيد»، الروس من توسيع هوة الخلافات بين الأتراك والأميركيين، يضاف إليها انفلات العلاقات بين أنقرة وبروكسل، التي تبدو في مرحلة سقوط حر. هذه الخلافات تكفلت بنزع فتيل خطر موافقة زعماء الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي خلال قمتهم المقبلة هذا الشهر، على تشكيل قوة بحرية دائمة لـ«الناتو» في البحر الأسود. وتعتبر واشنطن هذه الخطوة الرد الإستراتيجي على ما جرى في أوكرانيا والقرم عام ٢٠١٤. وتاريخياً رفضت أنقرة أي وجود لـ«الناتو» في البحر الأسود. وعلى الأرجح أن يتشدد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في مواقفه حيال هذه المسألة أثناء قمة «الناتو» المقبلة، وذلك نتيجة تصاعد خلافاته مع واشنطن بسبب دعم الأخيرة لـ«وحدات حماية الشعب» الكردية.

وعلى الجبهة الأوروبية، حققت موسكو نقطة لمصلحتها مع اتجاه برلين نحو إحداث تقارب روسي أوروبي يتجاوز المسألة الأوكرانية، من أجل موازنة غموض سياسات إدارة ترامب، وهيجانه. هذا المكسب أعطى الروس سبباً جديداً لتهدئة التوترات مع الإدارة الأميركية.

ولقد اشترط مسؤول الملف الأميركي في الخارجية الروسية سيرغي ريابكوف خلال لقائه نائب وزير الخارجية الأميركي للشؤون السياسية توماس شانون رفع العقوبات التي فرضتها إدارة الرئيس السابق باراك أوباما، على كيانات وأفراد روس، لتطبيع العلاقات.

وبعد التقارب الصيني الأميركي، وجدت موسكو أنها متخلفة عن الركب في مثلث الروس الصيني الأميركي، وهي لذلك تعتزم إرساء جملة من التفاهمات مع إدارة ترامب لقوننة الصراع وتهدئة التوترات بين البلدين، وعلى الأرجح أن تكون سورية مسرحاً لبعض تلك التفاهمات.

قولاً واحداً

الأردن ومخاطر العدوان على حدود سورية الجنوبية

تحسين الحلبي

بدأت تزداد الأنباء التي تتحدث عن خطة إسرائيلية أميركية بريطانية يراد للملكة الأردنية الانخراط فيها، تستهدف مناطق سورية متاخمة لحدود المملكة وحدود الجولان، لعزلها عن السلطات السورية الشرعية وجيشها، وتحويلها إلى منطقة للمسلحين بدعم عسكري مباشر من هذه الأطراف الأربعة.

وهذا المخطط كان قد تحدث عنه المسؤول الإسرائيلي نير بومس قبل ستة أشهر في دراسة نشرها مركز دايان للدراسات الإسرائيلية، لإنشاء ما يشبه الجيب العسكري الذي أنشأته إسرائيل لجيش لحد المنشق في جنوب لبنان.

وكان الباحث في مركز جيروزاليم الإسرائيلي للعلاقات العامة بينحاس عينباري قد نشر في ٢٥ نيسان الماضي ورقة سياسية تحمل هذه الفكرة قال فيها: إن منطقة تعزل دمشق عن جنوب سورية ستشكل خدمة للمصالح الإسرائيلية، لأن إسرائيل هي التي تقوم بتقديم العلاج الطبي داخل أراضيها للمسلحين هناك، وستجد إسرائيل قطعاً مصلحة كبيرة، في حال تأسيس كيان في تلك المنطقة عند حدود الجولان.

لكنَ السؤال المهم هنا هو هل سيجرؤ أصحاب هذا المخطط العدواني، على العمل على تنفيذه وتوظيف دور عسكري للأردن فيه؟

يرى بعض المحللين في إسرائيل أن المملكة الأردنية ستتحمل أكبر المخاطرات إذا ما تعاونت علنا ومباشرة في تنفيذ خطة كهذه، لأن وضعها الداخلي والديموغرافي المعروف، سيهتز كثيراً، ولن تخدم مشاركتها فيه سوى أنصار أحزاب إسرائيل الكبرى ومنهم معظم وزراء الليكود، إضافة إلى حزب «البيت اليهودي» وزعيميه نفتالي بينيت وأوري أريئيل، وحزب «إسرائيل بيتنا» وزعيمه وزير الحرب أفيغدور ليبرمان، فأوري أريئيل ما زال يحتفظ في مكتبه، كوزير للزراعة في حكومة بنيامين نتنياهو، بصورة خريطة إسرائيل الكبرى التي تظهر فيها معظم أراضي المملكة شرقي الأردن، فهؤلاء الصهيونيون ما زالوا يرفضون تقسيم الانتداب البريطاني لفلسطين عام ١٩٢٠ بين أراض في شرقي نهر الأردن منحوا إدارتها للأمير عبد الله بن الشريف حسين، وبين أراض غربه منحوها للحركة الصهيونية، لأن فلسطين كانت تضم الضفتين الشرقية والغربية حتى البحر المتوسط يوم صدر وعد بلفور عام ١٩١٧.

وكان أرييه إيلداد، من حزب الاتحاد القومي الإسرائيلي، يطالب دوما باستعادة شرقي الأردن وضمه إلى إسرائيل، في حين كان أنصار الأحزاب الأخرى يريدون تحويل أراضي شرقي الأردن إلى دولة فلسطينية تؤسسها إسرائيل للفلسطينيين الذين ستنقلهم إليها من كل مكان.

فالمملكة ستصبح إذا انخرطت في هذا المخطط في حالة حرب مع دولة شقيقة وستجد نفسها بين نار رغبة بعض الأحزاب الإسرائيلية بإنشاء الدولة الفلسطينية في شرقي الأردن، وبين رغبة أحزاب أخرى تريد ضم هذه الأراضي لإسرائيل وكلتا الرغبتين تلحق الخطر بمستقبل المملكة.

أما سورية فلن تقف قيادتها وجيشها وشعبها وحلفاؤها مكتوفة الأيدي أمام عدوان إسرائيلي أميركي بريطاني يستخدم المملكة لشن عدوانه عليها.

ولذلك يقدر محللون أميركيون وإسرائيليون ألا تتجاوز هذه التهديدات حدود المناورة العسكرية التي تجريها الدول الثلاث بريطانيا وأميركا والمملكة للأسباب التالية:

أولاً: لا يمكن للجمهور السوري في جنوب سورية إلا أن يحارب هذا العدوان وخصوصاً أنه شديد العداء لإسرائيل، صاحبة اليد الطولى في هذا العدوان، وسيجد جمهور الجنوب السوري أن كل الشعب يقف إلى جانبه في صد العدوان وأدواته المحلية ومشغليه.

ثانياً: إن الجمهور في الأردن من أردنيين وفلسطينيين لا يمكن أن يتجاوبوا مطلقا مع هذا الدور الذي يراد لدولتهم وجيشهم الانخراط فيه.

ثالثاً: إن عدوانا كهذا سيؤدي إلى توسيع دائرة الحرب في بقية حدود الأردن مع العراق، لأن الجمهور العراقي والجيش الذي يقاتل الإرهاب في العراق ويرفض انفصال إقليم كردستان العراق، سيجد نفسه مجبرا على إحباط هذه السابقة ضد سورية في الجنوب السوري.

رابعاً: ستنتقل الحرب على سورية إلى مرحلة تجد فيها القوى الإقليمية المتحالفة معها، ضرورة ملحة للدفاع عن أراضي سورية بشكل مكثف وأوسع مما سبق وبشكل علني أكثر، لأن إحباط هذا المخطط سيعد أهم الحلقات المركزية لحماية الوضع الإقليمي الراهن وتحولاته المقبلة لمصلحة أطراف التحالف مع سورية.